وما سواها (382)

الناس كالناس!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

الناس: إسم للجمع من بني آدم.
وفي القرآن الكريم سورة "الناس" وأولى آياتها الستة "قل أعوذ برب الناس".
ومهما تباينت أماكنهم وأزمنتهم , فأنهم وبلا إستثناء يعودون للتراب الذي سيأكلهم , ويعيد تصنيع عناصرهم , فكل مَن عليها فان.

الناس: إسم للجمع من بني آدم.
وفي القرآن الكريم سورة "الناس" وأولى آياتها الستة "قل أعوذ برب الناس".
ومهما تباينت أماكنهم وأزمنتهم , فأنهم وبلا إستثناء يعودون للتراب الذي سيأكلهم , ويعيد تصنيع عناصرهم , فكل مَن عليها فان

والناس يختلفون في عاداتهم وتقاليدهم وتفاعلاتهم , وتنشب بينهم صراعات دامية وحروب قاسية تبيد العديد منهم , لكنهم يتواصلون ويتكاثرون حتى تجاوزت أعدادهم المليارات الثمانية , وهي حالة لم تعهدها الأرض من قبل!!

وما يلي بعض التأملات في أحوالهم:

أولا: الناس إلى أين؟!!

البشرية تعيش مرحلة حضارية فارقة , لم تعهدها من قبل , بسبب التواصل الإليكتروني السريع , والطوفان المعلوماتي الهائل , المتدفق بعنفوان العصور , وثوران براكين الأجيال والقرون.

البشرية تعيش مرحلة حضارية فارقة , لم تعهدها من قبل , بسبب التواصل الإليكتروني السريع , والطوفان المعلوماتي الهائل , المتدفق بعنفوان العصور , وثوران براكين الأجيال والقرون

فما تحقق في الأرض في العقدين الماضيين , يتفوق على ما حققته البشرية في قرونها المنصرمة قاطبة.

وفي خضم الطوفان المتسارع الطاغي , ما عادت البشرية تطيق التواصل والتوافق معه نفسيا وعقليا , وتنامت هوة كبيرة ما بين الأجيال الساعية فوق الأرض.

في خضم الطوفان المتسارع الطاغي , ما عادت البشرية تطيق التواصل والتوافق معه نفسيا وعقليا , وتنامت هوة كبيرة ما بين الأجيال الساعية فوق الأرض

فما يراه ويعيه الذين ولدوا قبل عقدين غير الذي يراه ويدركه الذين ولدوا قبلهم , لأن أدمغتهم قد تشكلت بطريقة مغايرة لعقول سابقيهم , وهذا يعني أن البشرية , أصبحت تواجه معضلة خطيرة ومذهلة , تتلخص في إستحالة عيش وتعايش هذه الأجيال , لأن الأجيال الجديدة محشوة بطاقات إليكترونية ومعرفية , لا يمكن للأجيال السابقة أن تتصورها أو تستوعبها , مما جعلها تشكل عقبة كبيرة أمام هذه الأجيال الفوارة بكل ما فيها من الطاقات والقدرات والتطلعات الفياضة.

ومشكلة التحولات المتسارعة في الأرض , أن قادتها من الشباب , وتنطلق من عقول الأفراد الذين يتميزون بقدرات ذهنية وإبتكارية وإبداعية خارقة , وبما يبتكرونه يأخذون البشرية في دروب مجهولة , وذات مخاطر لا تحصى.

فهم يبتكرون ويصنّعون أفكارهم , والناس تتبعهم , وتتحول إلى أسرى لمبتكراتهم ومعطيات عقولهم المحلقة في فضاءات قصوى.

وفي هذا الخضم المتعاظم التلاطم والهيجان , يبدو أن الحروب الشرسة أخذت تتطلع بعيونها الملتهبة

المتشوقة للإحراق , وصناعة أنهار وبحيرات الدماء الدائمة.

فهل أن ما نأتيه من مخترعات سيدفعنا إلى أن نتفانى بالقضاء على بعضنا البعض , والتخلص من البشر الذي لا يمكنه أن يتواصل مع معطيات العصر المعلوماتي الإليكتروني المجنون الثورات؟!

ثانيا: "الناس على دين ملوكها"!!

المقصود بالدين , النهج أو المنهج الذي يسير عليه الحكام , فأخلاقهم تنعكس على سلوك المجتمع , فيتفاعل الناس فيه وفقا للمنهج الذي إختطه الحاكم لنفسه وحاشيته وحزبه , أو غيرها من المتصلات به وبما فيه وعليه.

وهذا مثل عربي معروف منذ قرون , وتتداوله الأجيال على مر العصور.

فالحاكم العادل يحقق أمنا وسلاما وعدلا ورفاهية , والحاكم الظالم يتسبب في المساوئ والتداعيات والمظالم والآلام والمقاساة , والحاكم الجاهل ينشر الجهل والفساد والعكس صحيح.

والتفاعلات على طرفي المعادلة متوازنة ودقيقة , فلا يمكن تبرئة أي مسؤول أو حاكم , مما يحصل في بلاده أو دائرته , أو رقعته الجغرافية التي يتولى المسؤولية فيها.

فأنى يكون الحاكم أو المسؤول يكون الشعب !!

فالعيوب في الكراسي وليست في الشعوب!!

والكثيرون من الجالسين على الكراسي في البلدان المتأخرة , من الذين يتمتعون بجهل فاضح , وثقافة قليلة , ومهارات ضعيفة , وتتحكم فيهم أحوالهم الإنفعالية , وتصوراتهم المبدئية والعقائدية المتحجرة الضيقة , العاجزة عن صناعة ما يمت للحياة بصلة.

وتتمكن منهم النفس الأمارة بالسوء , وتستلب إرادتهم بطانتهم , والحاشية النزقة المنفلتة الرغبات , والساعية إلى الإكتناز وجمع الذهب والفضة , لأنها تعرف بأن الحال لا يدوم , وسيمضي إلى مآل , لا بد لها أن تستعد له بالأموال.

فالشعوب بحاجة إلى قادة أطهار أنقياء أصفياء , يؤمنون بالشعب والوطن , وبالحياة الحرة الكريمة.

فليس من الصائب إتهام الشعوب فقط , لأنها تريد أن تبقى , وتتصرف وفقا لإرادة البقاء , التي قد تخرجها عن خلقها ومبادئها ودينها في أكثر الأحيان.

لكن الأصوب أن نشير إلى الكراسي , التي تمتلك قدرات تخريب الشعوب , وتدمير الوجود الوطني والإنساني , خصوصا عندما تنغمس في مشاريعها الشخصية والحزبية والفئوية , وتمعن في الفساد , ولا تعرف إلا أن تتمسك بالمناصب والكراسي , وتنكر وجود الشعب وتلبية حاجاته.

فالكراسي السيئة تصنع نظاما سيئا , يسوّغ مساوءها , والكراسي الخيّرة , تصنع ما يعزز خيرها ويعين أخيارها على العطاء الصحيح.

وفي التأريخ دروس وعِبَر , وفي الزمن المعاصر مئات الصور , فأي شعب بحاجة لقادة , ولم يكن الصينيون بأفضل حال منا , كذلك الكوريون , لكنهم إمتلكوا قادة وطنيين مؤمنين بالوطن والشعب , ولهذا كانوا , وتقهقرنا وتراكمت أسباب الإذلال والهوان في ربوعنا!!

ثالثا: الناس والقانون!!

الناس سواسية أمام القانون في المجتمعات التي تحترم قيمة الإنسان , ويحكمها دستور وطني قويم.

فالقانون فوق الجميع ولا أحد فوقه مهما بلغت درجته في سلم السلطة.

القانون أيا كان مصدره هو الأقوى , والأضمن لحقوق الناس.

وفي المجتمعات التي تصادر قيمة الإنسان وحقوقه , تكون الكراسي بأنواعها فوق القانون وتدوسه

الأجيال الجديدة محشوة بطاقات إليكترونية ومعرفية , لا يمكن للأجيال السابقة أن تتصورها أو تستوعبها , مما جعلها تشكل عقبة كبيرة أمام هذه الأجيال الفوارة بكل ما فيها من الطاقات والقدرات والتطلعات الفياضة

هل أن ما نأتيه من مخترعات سيدفعنا إلى أن نتفانى بالقضاء على بعضنا البعض , والتخلص من البشر الذي لا يمكنه أن يتواصل مع معطيات العصر المعلوماتي الإليكتروني المجنون الثورات؟!

الحاكم العادل يحقق أمنا وسلاما وعدلا ورفاهية , والحاكم الظالم يتسبب في المساوئ والتداعيات والمظالم والآلام والمقاساة , والحاكم الجاهل ينشر الجهل والفساد والعكس صحيح

الكثيرون من الجالسين على الكراسي في البلدان المتأخرة , من الذين يتمتعون بجهل فاضح , وثقافة قليلة , ومهارات ضعيفة , وتتحكم فيهم أحوالهم الإنفعالية , وتصوراتهم المبدئية والعقائدية المتحجرة الضيقة , العاجزة عن صناعة ما يمت للحياة بصلة

بأقدامها , فهي تحاسب ولا تُحاسَب , ومن الشجاعة والقوة أن تنكر وجود القانون وتتصرف على هواها.

في دول الدنيا المعروفة , رئيس الوزراء ينتهي إلى السجن لأنه لم يحترم القانون , ورئيس الجمهورية يُساق للمحاكم لتجاوزه على القانون , والكثير من الوزراء يستقيلون أو يُحاكمون لأنهم إقترفوا جرما صغيرا تصدى له القانون.

وفي بعض المجتمعات التي تسحق الإنسان , لا تستطيع أن تدين سراق الشعب الذين صادروا ثرواته وإستحوذوا على حقوقه , وقبضوا عليه بالحرمان من أبسط الحاجات.

دول لا يمكنها أن تحاسب أصغر كرسي في السلطة , لما قام به من سلوكيات تتعارض مع أبسط القيم والأعراف والتقاليد , فالذي في السلطة أبو القانون , ولا تجرؤ مؤسسات الدولة القضائية أن توجّه له أي إتهام , لأنها مسيسة وغير مستقلة , وتهتدي بالفساد الحائز على السلطة والقوة والنفوذ المطلق على البلاد والعباد.

إنها دول اللاقانون وتدّعي غير ذلك , خصوصا عندما تكون الرموز صاحبة القول الفصل , والتقليد المنهج المعمول به , فهو فوق القانون والدستور , ولابد من تنفيذ إرادتهم ويأتي القانون آخرا.

فلا ديمقراطية بلا قانون صارم , ولا حياة حرة كريمة إذا ضاع القانون , وتحولت الدنيا إلى باحة مشاعة.

المطلوب سلطة قضائية قوية مستقلة , وسلطة تنفيذية لا تعرف غير الحق والعدل , والتطبيق الصارم للقوانين والقرارات , وفقا لإرادة السيادة والإستقلال الوطني المقدس , ولا قوة لها صوت غير القانون الذي عليه أن يكون فاعلا وسيدا في البلاد.

فهل هناك دولة تاجها القانون؟!!

رابعا: الناس بعواطفها!!

العقل البشري في إجازة , إلا عند البعض الذين يرسمون خارطة المسيرة البشرية المتمسكة بشراع عواطفها , ولا تقوَ على إدارة دفة ذاتها وموضوعها , فهي رهن للرياح الهابة عليها من كل حدب وصوب.

وهذه مشكلة سلوكية فاعلة في تيار الأجيال المتوافدة إلى نهر الحياة , فتتحول أحيانا إلى أعاصير شديدة وعواصف ورعود , ولا تختلف في تصرفها عن البيئة التي تعيش في أحضانها.

فسلوك البشر مقرون بسلوك الطبيعة , والأرض ترسم خارطة التفاعلات القائمة بين مخلوقاتها المتصارعة المتحيرة بمصيرها.

وعند الحديث عن العقل يبدو الموضوع خياليا , أو بعيدا عن الواقع التفاعلي المتحقق فوق التراب , فالمخلوقات ومنها البشر محكومة بعواطفها , ولديها القدرة الهائلة على العمل بموجب معطيات حاجاتها البقائية , وما في دماغها يكون مُسخرا لهذه الغاية .

والحاجات البشرية متنوعة ومتباينة في غرابتها ونوازعها وتطلعاتها , وما تريد الوصول إليه من نهايات وخواتم ذات ويلات ونواكب وتداعيات.

ويبقى العقل معتقلا ومُسخّرا لتنفيذ أوامر العواطف والنوازع البشرية , وما نسميه العقل هو القدرة على تسويغ وتبرير إرادة النفس الأمّارة بما فيها , وما تحتويه من المطمورات والكوامن والمستترات.

فالعاطفة تسبق العقل , والعقل يأتي أخيرا ولا يكون أولا , لأن الطبيعة الخلقية لا تسمح بمثل هذا السلوك , وتلقي بالمخلوق في نار حامية لتدريه ما هي , وعندها يصبح جمرة متقدة تريد التحوّل إلى رماد , فتخبو وتخفت لواعجها بعد أن إمتطت العقل للوصول إلى نهايتها , وقد تتحول المجتمعات إلى جمرات متقدة , يتوفر لها عقل يساهم في إخمادها فيأخذها إلى الحروب المروّعة , كما حصل في أوربا مرارا , وفي مجتمعاتنا أيضا.

الشعوب بحاجة إلى قادة أطهار أنقياء أصفياء , يؤمنون بالشعب والوطن , وبالحياة الحرة الكريمة

في التأريخ دروس وعِبَر , وفي الزمن المعاصر مئات الصور , فأي شعب بحاجة لقادة , ولم يكن الصينيون بأفضل حال منا , كذلك الكوريون , لكنهم إمتلكوا قادة وطنيين مؤمنين بالوطن والشعب , ولهذا كانوا , وتقهقرنا وتراكمت أسباب الإذلال والهوان في ربوعنا!!

الناس سواسية أمام القانون في المجتمعات التي تحترم قيمة الإنسان , ويحكمها دستور وطني قويم.
فالقانون فوق الجميع ولا أحد فوقه مهما بلغت درجته في سلم السلطة

في المجتمعات التي تصادر قيمة الإنسان وحقوقه , تكون الكراسي بأنواعها فوق القانون وتدوسه بأقدامها , فهي تحاسب ولا تُحاسَب , ومن الشجاعة والقوة أن تنكر وجود القانون وتتصرف على هواها

ذلك أن المجتمعات ما أن تتأجج , تتحول إلى طاقة متأهبة للتصريف بأي إتجاه يمكنها الإنبعاج فيه , وإن تيسّر لها مَن يأخذها إلى ما يريد ويرغب , فأنها تندلق بالإتجاه الذي يريده , كأنها التيار الشديد حتى تصل إلى مصبها وتغيب.

ولن تتمكن البشرية من التحرر من قبضة العواطف مهما توهمت بأنها ذات عقل , ذلك أن العقل حمار العواطف , وعبد الإنفعالات , وهو لإتقاد الحاصل في جمرات النفوس والأعماق البشرية.

فالحديث عن العقل يكاد يكون أشبه بالتفاعل الوهمي السرابي مع الذات والموضوع , الذي يتعلق بالمخلوقات ومنها البشر.

فالموجودات منفعلة ومستعرة , ولا عقل إلا لتبرير الأجيج وتسويغ اللهيب والخراب!!

فهل أن العقل أمير أم أسير؟!!

يبقى العقل معتقلا ومُسخّرا لتنفيذ أوامر العواطف والنوازع البشرية , وما نسميه العقل هو القدرة على تسويغ وتبرير إرادة النفس الأمّارة بما فيها , وما تحتويه من المطمورات والكوامن والمستترات

خامسا: "الناس نيام وإذا ماتوا إنتبهوا"

قول تأملي إدراكي عميق يُنسب للعديد من المفكرين والفلاسفة وغيرهم , وفيه دلالة تعبيرية عن حقيقة الواقع العقلي البشري , وهو يشير إلى أن العقول مبرمجة أو مؤطرة أو مخندقة ومصندقة أو مقوْلبة أي موضوعة في قوالب , ووفقا لما هي فيه ترى ما حولها وتبصر الأشياء وتعبر عن ذاتها المشكلة أو المأسورة في قالب ما.

والتقولب أي الإنصباب في قالب معضلة سلوكية أزلية , ذلك أن الدماغ مطواع ولديه القدرة على التشكل والتصلد والتصمل أو التبدل , إذا تمكن من الخروج من قالبه المسبوق والدخول في قالب آخر , ربما ليس من السهل أن يتخذ شكله لأن آثار القالب القديم لا تزال راسخة فيه.

ويبدو التفاعل العقلي مع البشر كالسير في طريق يزدحم بالعثرات , ولا يمكنك الخطو من دون معاناة وأضرار وربما دمارات ذاتية وموضوعية , فالأدمغة البشرية كالصخور الصماء , إنها لا ترى ولا تسمع لكنها متأهبة للتناطح والتصادم الشديد , خصوصا عندما تتمترس بتروس عاطفية إنفعالية مسبوكة في أوعية التكرار والترسيخ منذ الصغر.

فالذي يؤمن بعقيدة ما تم ترويضه وقولبته في قوالبها منذ الطفولة يكنز حواجز إنفعالية , ذات إنفجارية عالية بوجه الذي يتجرأعلى المساءلة وإستحضار بعض المنطق العقلي لتصحيح ما يراه لا يصلح للزمان والمكان , وينتهي التفاعل إلى تنافر وإطلاق للمشاعر السلبية النكراء , فتتحقق الكراهية ويتنامى العدوان.

كنت في مطعم فسأل زميلي صاحب المطعم عن الصورة وكانت "تاج محل" لكن زميلي شكك بها فسأله عنها فأكدها , فقلت إنها مسجد جميل , فثار صاحب المطعم بوجهي بإنفعالية هائلة , ينكر فيها أن للبناء علاقة بمسجد و راح يشرح القصة المعروفة , فقلت أن في داخل تاج محل آيات قرآنية وكتابة بالعربية حول ضريحي الرجل وزوجته فازداد صاحب المطعم إنفعالا , فسألته عن ديانته فقال إنه من كذا ديانة , ففسر لماذا إستشاط غضبا.

وراح زميلي يحدثني عن وجوب عدم عودتي لمطعمه مرة أخرى , مع أني من زبائنه الدائمين!!

وهذا مثل على التقولب والتكهرب بالأفكار المحشوة في الأدمغة والمقرونة بطاقات إنفعالية سلبية , فهذا الشخص قد تربى على إقران الإسلام بالكراهية والعداء , ولا يمكنه أن يستوعب الكلمة إلا أنها يجب أن تواجه بعنفوان إنفعالي ونكران عاطفي شديد.

وقس على هذا ما يحصل بين مذاهب ومدارس الدين الواحد , فكل حالة تقترن بعواصف وأعاصير عاطفية إنفعالية , تأسّر صاحبها في قبضة قوالبها الإدراكية , وتدفع إلى سلوكيات متوافقة مع نوازعها ودوافعها الوهمية الهذيانية المنحرفة.

ووفقا لهذا فالبشر منوّم ومخدر بالآليات القولبية , ويمضي أيامه كأعمى بصيرة وإن لم يكن أعمى

"الناس نيام وإذا ماتوا إنتبهوا" قول تأملي إدراكي عميق يُنسب للعديد من المفكرين والفلاسفة وغيرهم , وفيه دلالة تعبيرية عن حقيقة الواقع العقلي البشري , وهو يشير إلى أن العقول مبرمجة أو مؤطرة أو مخندقة ومصندقة أو مقوْلبة أي موضوعة في قوالب

التقولب أي الإنصباب في قالب معضلة سلوكية أزلية , ذلك أن الدماغ مطواع ولديه القدرة على التشكل والتصلد والتصمل أو التبدل

الذي يؤمن بعقيدة ما تم ترويضه وقولبته في قوالبها منذ الطفولة يكنز حواجز إنفعالية , ذات إنفجارية عالية بوجه الذي يتجرأعلى المساءلة وإستحضار بعض المنطق العقلي لتصحيح ما يراه لا يصلح للزمان والمكان

بصر , وحال أقتراب الموت تخمد النيران العاطفية والسورات الإنفعالية فيتحرر العقل , وتبدو الصورة واضحة ولكن بعد أن ألفى أن كل تميمة لا تنفع.

وهذه حالة مصيرية تتكرر على مر الأجيال , وما تمكن البشر من التحرر من أصفادها المريرة.

وفي الختام : "وخلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"

و"إذا كان أصلي من تراب , فكلها بلادي , وكل العالمين أقاربي"!!

إنها خلاصة الجوهر الآدمي المستوطن الثرى الجذاب!!

البشر منوّه ومحذر بالآليات القولبية , ويمضي أيامه كأعمى بصيرة وإن لم يكن أعمى بصر , وحال أقتراب الموت تخمد النيران العاطفية والسورات الإنفعالية فيتحرر العقل , وتبدو الصورة واضحة ولكن بعد أن ألفى أن كل تميمة لا تنفع

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa382-251224.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2024 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس عشر)

الشبكة تدخل عامها 24 من التأسيس و 22 على الويب

24 عاما من الكدح... 22 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2023

التحميل من الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2023.pdf

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2024 (الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة)

التحميل من الموقع العلمي
http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2024

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميّز" / "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي "
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

*** *** ***

شاركونا اعمالنا على صفحاتكم للتواصل الاجتماعي....

معا يصل صوتنا ومعكم نذهب أبعد...

معا نرقى بانساننا، فترقى مجتمعاتنا فأوطاننا، فامتنا